شخصية أو ذاتية ، لكنه يحمل دلالة عامة تضم جميع الاصوات الشعرية الفلسطينية. فغالبا ما يصل زياد ودرويش الى نفس المعادلة ، معادلة القصيدة الخارجية ، التي لا تبحث عن علاقاتها داخل اطارات الشعر الخاصة ، اي داخل الحركة الداخلية التي يستطيع الشعر أن يضغطها ويجعلها في تفاعل مع الواقع الذي تنطلق منه وليست مجرد صدى له . ان تحليل هذه المعادلة الشعرية ، يعود فيقودنا الى افتراض أساسي انطلق منه الشعر « الواقعي » ، الذي يشكل الشعر الفلسطيني أحد روافده . هذا الافتراض هو افتراض فعالية الشعر ودور السياسي الاساسي . لكن هذا الافتراض وان كان يقود الى هذه العلاقة فانه لا يحجب أبعادها الانسانية .

« في وجهي لون الارض »

داخل هذا البعد من العلاقة بالارض تندرج قصائد توفيق زياد . هنا تصبح علامات الارض شاهدا على ضرورات البقاء والصمود . فالشجر والبيت والطبيعة ، هي المداخل الاساسية التي ينطلق منها هذا الشعر :

« وأحفر كل أسراري
على زيتونة
في ساحة
الدار ..»(١٦) ».

الارض هي العلامة التي يجري التوقف عندها ، لكنها علامة خارجية يقيم معها الشاعر علاقة على هذا الاساس . يسقط عليها بهمومه وهموم شعبه ويستعيرها نموذجا للصمود . فهي علامات يجري زرعها على درب طويل من النضال . هنا تبقى القصيدة كما في التحليل السابق ايقاعا ، تغلب عناصره الخارجية على بقية العناصر . وتصبح القافية هي طريق الايصال السهل والمباشر .

ان النقطة التي تثيرها هذه النماذج ، هي الحافة التي وصل اليها الشعر الفلسطيني في الارض المحتلة . فهو يطور مفاهيم النضال ، يتوقف طويلا عند قيم الفلاح البسيط ، ليمهد لقفزة نوعية في التعامل مع المكان .

يمثل شعر درويش ابتداء من مجموعته « العصافير تموت في الجليل »(١٧)، محاولة الخروج الاساسية الى العلاقة الرحبة بالارض ، فتستحيل الارض الى فعل خاص يشحن العلاقة الانسانية بها ويعيد تشكيلها . فالاطار الوظائفي للعلاقة الذي كان حتى الآن سائدا ، يفتقد بشكل شبه نهائي ، وتصبح العلاقة نفسها هي موضوع الشعر . هنا ينحني الصوت الشعري فيما يبحث عن اطاراته ؛ لا تعود أطراف القصيدة حادة ومسننة ، بل تصبح دوائر متتالية ، وتقوم بالنسج على منوالها الخاص :

« هي الارض لاجئة في جراحه ».

لم نعد أمام استعارة للارض « عنب الخليل » أو أشياء القرية ، نحن امام مكان بلا حدود ، يستطيع أن يفتح منافذ لا حدود لها للرؤيا الشعرية وايقاعاتها المختلفة . هنا تتحول غزة من رمز ثنائي مجرد الى كل نضالي :

« وغزة لا تبيع البرتقال لانه دمها المعلب »

أو يصبح المكان هو النضال في حركيته الخاصة . فلم تعد تلك الثنائية التي افترضت أساسا لتفصل بين الفعل واطاره ، بين الشكل ومضمونه ، تستطيع استيعاب ابعاد هذا الامتداد الذي يحمل في داخله تجربة الارض المحتلة بمعانيها القمعية وتجربة المنفى بكل ما تحمل هذه التجربة من مأساوية الدماء ومن تفاصيل المسيرة الطويلة التي